

## المنهج اللغويّ في التفسير وتاريخه

## Linguistic Methodology of Tafseer and its History

\* سعيد احمد

**ABSTRACT**

The Holy Quran was revealed in Arabic Language, it is, therefore necessary to seek Arabic Diction to gain the direct guidance from it. The companions of Holy Prophetﷺ, Tabeen, and the reverent Imams strictly rebuked those interpreters who interpret the Holy Quran without having command over Arabic Language. The verses of Quran that are clear in comprehension, explicit and easy, do require the source of interpretation as "Arabic Diction". This method highlights the positive trends to Arabic Diction. But in the matter of ambiguity and resemblance in verses and deduction of Masael, this Diction will be given second priority. Mere Diction and Arabic Socio-Diction may not be titled as most authentic. Diction is not the 'last word.' The very first priority will be given to the verses of Quran, Hadith e Nabvi and Quotations of Companions of Holy Prophetﷺ.

The companions themselves were the native Arabs but they used to do consult some Quranic terms with the Holy Prophetﷺ. As time passed, some strayed sects and atheists ignored this positive trend (Tafseer-bil-Mathur), and accustomed a new trend of interpretation of Holy Quran i.e. depending upon Arabic Diction only so that they may endorse their own thoughts. It was a negative source of interpreting the Holy Quran i.e. only by Arabic Diction.

The present article explores its historical perspectives after evaluating its negative trends. The Motazila sect got this trend nourished. The representing interpretations of Holy Quran of this trend have been analyzed in this article. At the end, Molana Ameen Ahsan Islahi's approach to Diction and his Tafseer 'Tadabbur e Quran' has been evaluated.

**Keywords:** Arabic Language, Arabic Diction, Tafseer-bil-Mathur, Linguistic Methodology, Motazila

تعتبر معرفة لغة القرآن الكريم من أهم الأدوات لفهمه وتفسيره ، ولا يصح فهمه وتفسيره إلا بطريق فهم اللسان الذي نزل فيه ؛ فلذا يجب على المفسر أن يكون على معرفة تامة بقواعد اللغة العربية وأصولها ودلالاتها، فكان حقا على من أراد فهم معانيه وإدراك مرامييه ، أن يكون على جانب كبير من التمكن من اللغة العربية ، وإلا لا يقدر على شئ من ذلك.

ويقول الدكتور السبت:

"المراد باللغة العربية التي تعد من أهم شروط المفسر معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم ، سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة ، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرائهم ، أم حصلت بالتلقى والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين شافهوا بقية العرب ومارسوا اللغة على طريقتهم ، والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها، ولما كان القرآن كلامًا عربيًا كانت قواعد العربيّة طريقًا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة.

ونعني بقواعد العربية : مجموع اللسان العربي ، وهي متن اللغة ، والتصريف والنحو والإشتقاق والغريب والإعراب والمعاني والبيان والبديع ومن وراء ذلك استعمالات العرب في كلامها ، ووجوه مخاطبتها. " (١)

ومما لا يختلف فيه اثنان أن للعلم بأصول اللغة العربية وللمعرفة بفروعها أهمية بالغة في فهم وتفسيره والتسلح بهذا العلم يعتبر من أوجب شروط المفسر وأكمل آدابه ، فإن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، ويتوقف فهمه على معرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

يقول الإمام الزركشي :

"وقد أنكر السلف إنكارا شديداً على من تجرأ على التفسير دون أن يكون عالماً باللغة العربية"

قال الإمام دار الهجرة مالك رحمه الله: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا"<sup>(٢)</sup>

وقال تلميذ ترجمان القرآن مجاهد رحمه الله: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"<sup>(٣)</sup> ومع هذه المكانة السامية للغة وتلك المنزلة العالية لمعرفة أصولها، لا يجوز لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون اعتماده فيه على مجرد اللغة فقط؛ لأنه يؤدي إلى تعطيل كثير من المفاهيم الدينية والمعاني الشرعية الثابتة بالقرآن والسنة وإجماع الأمة.

وفي ذلك يقول الحري:

"ومن قواعد التفسير أنه "ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه ، بل يجب حمل كلام الله على الأوجه اللغوية والإعرابية القوية المشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة ، اللائقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع"<sup>(٤)</sup>

فظهر من العبارات السابقة أنّ الرجوع إلى اللغة العربية في تفسير القرآن ليس مذموماً. ولكن أنكر السلف على الذين اتخذوا اللغة أساساً ومداراً ومناطقاً لتفسير القرآن الكريم لا يحددونها ولا ينصرفون إلى غيرها ولا يعتمدون على أسباب أخرى لتوضيح القرآن الكريم مثلاً توضيح القرآن بالقرآن "لغة القرآن" وتبيين النبي ﷺ وتفسير الصحابة رضی الله عنهم وأقوال التابعين رحمهم الله ، ليس الرجوع إلى اللغة في تفسير القرآن مذموماً ولكن أنكر السلف الذين يصرفون الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا توجد غالباً إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خالفها.

وكذلك ليس المراد بالمنهج اللغوي ، واللغويين في هذا البحث الرجوع إلى اللّغة في تفسير القرآن الكريم، بل أعنى الذين يفسرون القرآن من وجهة نظرهم تاييدًا لأراهم الباطلة وأفكارهم الفاسدة.

نذكر أولاً مفهوم اللغة وبعد ذلك يوضح المنهج اللّغوي وتاريخه.

### مفهوم اللغة عند اللغويين

قال الجوهري:

"اللغة أصلها لُعَى أو لُعَوٌ. والهَاءُ عَوْضٌ، وجمعها لُعَى مثل بُرّة وبُرَى ولغات أيضاً، وقال بعضهم سمعت لَعَاءَهُمْ بفتح التّائِ. وشبّهها بالتّاء التي يوقف عليها بالهاء والنسبة إليها لغويٌّ ولا تقل لَعَوِيٌّ".<sup>(٥)</sup>

وقال نصر الهوري:

"اللغى جمع لغة من لغا بالشيئ لهج به، ولغوت بكذا لفظت وتكلمت به حذفت اللام وعوض عنها الهاء وأصلها لغوة بالضم كخرفة. واللغة في تعارف حملة الشريعة عبارة عمّا حفظ من كلام العرب الخالص ونقل عنهم من الألفاظ الدّالة على المعانى وأما تفسيرها بانها أصوات يعبرها كل قوم عن أغراضهم فغير مراد لأن المطلوب هنا تعريف اللغة الواقعة في كلام المؤلّف وهي لغة العرب البلغاء لا مطلق اللغة وهذا تفسير لمطلق اللغة وليس الكلام فيه".<sup>(٦)</sup>

### تعريف علم اللغة اصطلاحاً

"فهو علم يبحث فيه عن مفردات الألفاظ الموضوعية من حيث دلالتها على معانيها بالمطابقة"<sup>(٧)</sup>

الإمام السيوطى خلال بحثه عن اللغة ومفهوم الصحيح الثابت المحفوظ، ينقل أقوال العلماء فى حد اللغة:

"قال ابوالفتح ابن جنى فى الخصائص: حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ثم قال واما تصنيفها فهى فعلة من لغوت أى تكلمت وأصلها لغو ككرة وقلة وثبة كلّها لاماتها واواث وقلوا فيها لغات ولغون كثبات وثبون وقيل منها لغا يلغى إذا هذى قال:

"ورب أسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم"

وكذلك اللغو فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾<sup>(٨)</sup> أى بالباطل وفى الحديث "من قال فى الجمعة صه فقد لغا" أى تكلم انتهى كلام ابن الجنى وقال امام الحرمين فى البرهان اللغة من لغا يلغى من باب رضى إذا لهج بالكلام"<sup>(٩)</sup>

### المنهج اللغويّ فى التفسير

أما العلم باللغة العربيّة لغة القرآن فإنه لا مرأى بأن الصحابة رضى الله عنهم هم أهل اللغة المتقنون لها سليقة لا تعلماً ، فطرة لا تصنعاً ، طبعاً لا كسباً وكان الصحابة على ذروة الفصاحة وقمة البلاغة ، عارفين أساليب اللغة ورموزها عاملين سعتها واسرارها وكانوا فى عصر النبي ﷺ وبعده يقرءون القرآن أو يسمعونه فيعونون بتفهم روحه فان عنى علماء هم بشئ وراء ذلك فما يوضح الآية من سبب للنزول، واستشهاد بأبيات من أشعار العرب تفسر لفظاً غريباً ، أو أسلوباً غامضاً ولكننا لا نعلم فى العصر الأوّل، إنحياز الصحابة إلى مذاهب دينيّة وآراء فى الملل والنحل ، فلما وقع هذا التفرّق الذى تشتت منهج الصحابة رضى الله عنهم رأينا كل فرقة من هذه الفرق تنظر إلى القرآن من خلال عقيدتها وتفسره بما يتلاوم مع مذهبها ، فالمعتزلى يطبق القرآن على مذهبه فى الاختيار والصفات والتحسين والتقيح العقليين ويؤوّل ما لا يتفق مذهبهم وكذلك الشيعي وغير ذلك.

## اهميّة المنهج اللغويّ لدى المعتزلة

تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسمع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف ، والاضمار ، والتقديم والتأخير ، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية ، كثر غلظه ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأى هذا هو المنهج الذي اختاره المعتزلة.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي :

".... نجد المعتزلة قد حرصوا كلّ الحرص على الطريقة اللغوية التي تعتبر عندهم المبدأ الأعلى لتفسير القرآن وهذا المبدأ اللغوي يظهر اثره واضحاً في تفسيرهم للعبارات القرآنية التي لا يليق ظاهرها عندهم بمقام الألوهية أو العبارات التي تحتوي على التشبيه ، أو العبارات التي تصادم بعض أصولهم فتراهم يحاولون أولاً إبطال المعنى الذي يرونه مشتبهاً في اللفظ القرآني ثم يثبتون لهذا اللفظ معنى موجوداً في اللغة يزيل هذا الاشتباه ويتفق مع مذهبهم ويستشهدون على ما يذهبون إليه من المعاني التي يحملون ألفاظ القرآن عليها بادلّة من اللغة والشعر العربي القديم، ثم إنّ المعتزلة بناء على رأيهم في الاجتهاد ، من أن الحكم ما أدى اليه اجتهاد كل مجتهد ، فاذا اجتهدوا في حادثة فالحكم عند الله تعالى في حق كل واحد مجتهدة رفضوا أن يكون لآية التي تحتل أوجهها تفسيراً واحداً لاخطأ فيه وحكموا على جميع محاولات التي حاولوها في حلّ المسائل الموجودة في القرآن بانها مرادة لله تعالى أو غاية ما قطعوا به هو عدم إمكان التفسير المخالف لمبادئهم وآرائهم، غاية الأمر أن المفسر يقول باجتهاد والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب وهو ما جور في الحالتين وان كان الاجر على تفاوت". (١٠)

## منهج المعتزلة في تفسير القرآن

قام المعتزلة في مطالع القرن الثاني للهجرة عند ما بدأت الأفكار الجديدة تسلك إلى العقول والحق أن طاقة العقل محدودة بحدود الزمان والمكان فانه لا يمكن له أن تصور ما وراء عالمه الذي يعيش فيه تصوراً صحيحاً إن كل من قايس هذه المسائل الغيبية الواردة في الآية القرآنية ونحوها على محض العقول وحاكمها إلى المعلومات المشاهدة المحسوسة لم يهتد فيها إلى الصواب.

يقول الدكتور محمد زغلول سلام:

"ونشأت جماعة من علماء المسلمين ، تسلحوا بمناهج عقلية ، وعرفوا بقوة البيان وحسن الرأي ونفاذ البصيرة ، وقوة الحجّة ، وعلى رأسهم المعتزلة ، وكبيرهم واصل بن عطاء وصاحبه عمرو بن عبيد ، وكان واصل صاحب بيان رائع ، وقدم راسخة في البلاغة ، وكان داعية من كبار الدعاة آمن بمذهبه فقام يدعو إليه ويدافع عن القرآن والإسلام دفاعاً لا يعتمد كله على السنة ، ولا شاهد القرآن ، لأن أعدائه لم يعترفوا بهما ، بل اتخذ لنفسه منهجاً عقلياً خلطه بالفلسفة ، وجمع من حوله جماعة من تلاميذه علمهم البيان وزودهم بالمنهج الذي أقامه وسار عليه ، وأرسل بهم إلى الأقاليم يجادلون أصحاب الديانات والبدع"<sup>(١١)</sup>

والإمام ابن قتيبة يبيّن منهج واصل ابن عطاء واصحابه ضدّ أهل السنة قائلاً:

"وعلى منهج واصل بن عطاء سار صاحبه عمرو بن عبيد ، وكان رجلاً صالحاً زاهداً وكان كثيراً ما يصطدم بأرائه مع أهل الحديث والسنة ، فيتهمهم بأنهم أرجاس أنجاس أموات غير أحياء ويتهمونه بأنه صاحب هوى يمنعه من قول لصدق فيما ينقل".<sup>(١٢)</sup>

يقول الجاحظ: "كان داعية مقالة ورئيس نخلة"<sup>(١٣)</sup> ويقول: "ولأبي حذيفة واصل بن عطاء خطب محفوظة ورسائل مخلدة".<sup>(١٤)</sup>

عند ختام البحث يوضح دكتور زغلول سلام منهج واصل بن عطاء وطريق استدلاله وقياسه ويذكر أعلام المعتزلة وحاملى فكرهم ومتأثيرهم تأثر بالغا "وظلت حياته كفاحاً من أجل القرآن والإسلام ، ومن القرآن استمد بلاغته وأقام من نفسه متكلماً بما فيه من معانى العدل والتوحيد ، يحسن فهم النصوص ويحسن التعبير عن تلك المعانى ، يبحثه فيما وراء الألفاظ من معان وصور ذهنية مجردة ، وخلف واصل فى تفسير القرآن على مذهبه كتاباً أسماه معانى القرآن. وجددير أن يكون تفسير واصل صورة أولى لكتب التفسير التى خلفها لنا المعتزلة ، يحمل خلاصة أفكاره الإعتزالية ويعبر عن آرائه البيانية فى أسلوب القرآن فى نطاق عقله الحر ، الذى لا يحكم المنقول تحكيماً جامداً ، بل يوازن بين المنقول والمعقول فى حدود المعنى العام للنص. وحمل لواء الاعتزال بعد واصل وعمرو وكثيرون من علماء اللغة والبيان ، ومنهم من اتخذ الإعتزال مذهباً يدين به ، وتصطبغ به كتبه وآراؤه ، ومنهم محمد بن المستنير قطرب النحوى ، وأبو الهذيل العلاف وبشر بن المعتمر والنظام والجاحظ. ومنهم من اكتفى من الاعتزال بمنهج البحث ، وحرية الرأى والفكر -ودقة النظر فى الأمور -ومن هؤلاء الأخفش سعيد بن مسعدة ، والمازنى ، والفراء وغيرهم. " (١٥)

أهم كتب التفسير على المنهج اللغوي:

### النظام وبيان القرآن

بيان القرآن من الصور الأولى لكتب التفسير التى خلفها لنا المعتزلة ولكن قد اختلفت عن نظرتة كثير من أصحابه من المعتزلة لانه كان يميل إلى حرية الرأى والفكر كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدأ أمره كان ظناً حتى تلميذه الجاحظ ينقد على بعض آرائه.



يقول الجاحظ:

"قرأ النَّظام كتب الفلاسفة ودرس الاعتزال ، واتصل بالثقافة الهندية والفارسية واليونانية وتعلم المسيحية ولا هوّتها ، وكان يميل في علمه إلى التجربة والقياس ، ولا يقبل التسليم بالمنقول والمأثور ، ويعيب عليه الجاحظ تماديه في القياس فيقول: "... وإنما كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه وجوده قياسه على العارض والخاطر والسابق الذي لا يوثق بمثله فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الأصل الذي قاس عليه أمره على الخلاص ، ولكنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدء أمره كان ظنيّاً، وألمّ بالثقافة العربية فحفظ القرآن ونظر فيه وفي تفسيره على ضوء مذهبه التجريبي القياسي وقاده هذا المذهب إلى للشك في الحديث وفي آراء المفسرين".<sup>(١٦)</sup>

يقول الدكتور الذهبي:

"وكان النظام معتبراً في مدرسة المعتزلة من الرؤوس الحرّة الواسعة الحرية وقد ذكر لنا تلميذه الجاحظ قوله الذي قاله في شان هولاء المفسرين".<sup>(١٧)</sup>

يقول الجاحظ:

كان ابو اسحاق يقول: "لا تستر سلوا إلى كثير من المفسرين وإن نصوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة فان كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحبّ اليهم وليكن عندكم عكرمة ، والكلبى والسدى والضحاك ، ومقاتل بن سليمان وابوبكر الأصمّ وقد قالوا في قوله عزوجل: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾<sup>(١٨)</sup> إن الله عزوجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلّى فيها بل إنما عنى الجباه وكل ما سجد الناس عليه من يد وجبهة وانف وثقنة - وقالوا في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾<sup>(١٩)</sup> إنه ليس يعنى الجمال والنوق وإنما يعنى السحاب".<sup>(٢٠)</sup>

## ١ مجاز القرآن

مجاز القرآن يمثل التيار اللغوي للتفسير وتوجد به بعض آثار البحث البياني الذي اتسع من بعد وهو يهمننا من هذه الناحية (المنهج اللغوي) يقول الحري:

"مجاز القرآن لإبي عبيدة معمر بن المثنى يعد من أشهر الكتب في تطبيق هذا المنهج اللغوي في التفسير ولن نبالغ لو قلنا أنه يعتبر من أهمّ مظان النماذج والامثلة التطبيقية المتمثلة في منهج التمسك باللغة حيث جعل صاحبه ، القرآن نصاً عربياً مجرداً ولم يراع في تفسيره سياق الآيات ولا أسباب النزول ولا المعاني الشرعية التي تدل عليها الفاظ القرآن ولا ما اثر من التفسير عن الصحابة والتابعين ولا عادات المخاطبين بهذا القرآن ، جرّد تفسيره للآيات من هذا كله ونزله على المعاني العربية دون أن يحتكم إلى غير استعمال العرب للالفاظ والتراكيب وقد أنكر عليه هذا المنهج جماعة من تلاميذه ومعاصريه ومن بعدهم".<sup>(٢١)</sup>

## تحليل الكتاب

يقول محمد زغلول سلام :

"يحسن بنا أن نقف وقفة قصيرة أمام مجهود أبي عبيدة لاعتبارات كثيرة أحدها أنه أول دراسة تصلنا في هذا الميدان اللغوي في القرآن ، ثانيها أنه يعتبر مرحلة أولية من مراحل تطور النقد ، والدراسات البيانية في أسلوب القرآن ، وفي الأدب العربي عامة ، وثالثها أن هذا الكتاب كان مرجعاً لكثير من الدراسات اللغوية والأدبية التي تلت ، لأن الرجل علم من أعلام اللغة والأدب في القرنين الثاني والثالث ، ولا يصح إغفال إنتاجه في دراسة متعلقة بالقرآن. يقدم أبو عبيدة لكتابه بمقدمة في بحوث لغوية عامة في القرآن يبدوها ببحث كلمة " القرآن " وله رأى خاص في

اشتقاق هذه الكلمة ينقله عنه لامتأخرون، وهو قوله: (( إنما سمي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها ، وتفسير ذلك الآية في القرآن ، قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾<sup>(٢٢)</sup> ويستشهد عليه من كلام العرب. وبعد أن ينتهي من تلك المقدمة العامة التي رسم فيها منهجه ، ووضع فكرته التي دار عليها الكتاب ، ثم خط الخطوط الأولى التي ستجرى عليها كلمة مجاز ، بعد هذا كله يبدأ بتناول السور والآيات تناولاً تنازلياً يبدأ بسورة الفاتحة ، ويتبع في تفسيره نظاماً معيناً لا يكاد يجيد عنه".<sup>(٢٣)</sup>

نلخصه فيما يلي:

- ١- يبدأ شرح الآية بآية أخرى ما أمكن
  - ٢- يتبعها بحديث في نفس المعنى
  - ٣- ثم يتبعهما بالشاهد الشعري القديم ، أو بكلام العرب الفصيح ، كالخطب والأمثال والأقوال المأثورة ، ويحرص أبو عبيدة على أن يؤكد دائماً صلة أسلوب القرآن وفنون التعبير فيه بأساليب العرب وفنوتهم ، فيذكر دائماً في ختام كلامه أن العرب تفعل هذا.
- وخلاصة القول في كتاب المجاز أنه كان خطوة في سبيل الكلام في طرق القول أو "المجاز" بمعناه العام ، وقد حاول أن يكشف عن بعض ما جاء من ذلك في أسلوب القرآن ، مع مقارنته بما جاء في الأدب العربي. وساعد عليه محصوله الغزير فيه.

### معاني القرآن للفراء

معاني القرآن وهو أشد وأدهى في السير على هذا المنهج واستفاد صاحبه من "مجاز القرآن" إلى حد كبير حتى قيل إنه نسخة مغيرة من كتاب أبي عبيدة.

يقول دكتور زغلول سلام:

"يعتبر معاني القرآن للفراء دراسة مكتملة من الناحية اللغوية لكتاب مجاز القرآن لأنه يبحث في التراكيب والإعراب ، والمجاز يبحث في الغريب والمجاز ، وكلتا الدراستين متعلقتان بالأسلوب ، واختلفت دراسة الفراء هنا عن دراسة أبي عبيدة ، وكان لهذا الخلاف أسبابه التي سنراها عما قليل، واسم الكتاب معاني القرآن لم يكن أول اسم أطلق على كتاب في دراسات من هذا النوع كما كان الجواز مثلاً - فيما نعلم" (٢٤)

ويبدأ بتفسير القرآن سورة - سورة بعد مقدمة قصيرة - بترتيب تنازلي يشرح ما في الآيات من الغريب والإعراب والقراءات شروحاً مختلفة ، لغوية ونحوية وأخبارية وأدبية. وقد يبين أسباب النزول ثم يسند كل ما وجد إلى السند سبباً. " (٢٥)

ويقول احمد امين باحثاً عن منهجه

"ويرى أحد الباحثين أن الفراء أول من تناول تفسير القرآن بترتيب السور معتمداً على نص لابن النديم ليس قاطعاً ، كما أن كتاب "المجاز" ينفي هذا الظن أو يشكك فيه " (٢٦)

### منهج الكتاب

دكتور زغلول سلام يلقي الضوء على منهج الكتاب مفصلاً "يبدأ بسورة الفاتحة ثم البقرة وهكذا تنازلياً ، ويتعرض لآيات كل سورة آية آية بالترتيب فلم يقتصر على الغريب كما فعل أبو عبيدة شارحاً ومفسراً لغريب الألفاظ ويقف كلما استدعاه للوقوف، لقراءة في آية يصححها أو ينفخها أو يضعها- ثم يفسرها تفسيراً نحويّاً ويوجه ما يحتاج منها إلى التوجيه النحوي أو اللغوي. ويأتي بالأمثلة والشواهد ثم يدرج المسألة جميعاً تحت قاعدة عامة. ويتبع في تفسير الغريب قاعدة واحدة هي التي اتبعها أبو عبيدة من قبل تلك هي شرح الآية بالآية ، ثم بالحديث إذ تسمى ذلك ، ثم بالشاهد الشعري أو المثل ، أو

الكلام الفصيح. وإذا تعرض لأسباب النزول فإنما يروى بالسند عن أئمة المفسرين من الصحابة والتابعين - ومثال ذلك من الكتاب :

تفسيره للآية: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾<sup>(٢٧)</sup> فيقول : قرأها يحيى بن وثاب وأبو جعفر المدني: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عِبَادَهُ﴾ على الجمع ، وقرأها الناس - عبده - ، وذلك أن قريشا قالت للنبي ﷺ: ما تخاف أن تحملك آهتنا لعيبك إياها فأنزل الله تبارك وتعالى "أليس الله بكاف عبده" محمداً ﷺ فكيف يخوفونك من دونه ؟ والذين قالوا عباده قالوا قد همت أمم الأنبياء بها ووعدهم مثل هذا فقالوا لسيدنا هود: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوئٍ﴾<sup>(٢٨)</sup> فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ، أى محمداً والأنبياء قبله ﷺ وكل صواب"<sup>(٢٩)</sup>

### أشهر كتب التفسير الإعتزالي على المنهج اللغوي:

ذكر الدكتور محمد حسين الذهبي كتب التفسير الإعتزالي كلها التي ألفت من ابتداء فتنة الإعتزال إلى العصر الحاضر واحصى أسماء جميع التفاسير ومؤلفيها اختصاراً فقال :

"تتصفح طبقات المفسرين للسيوطي وطبقات المفسرين لتلميذه الداودي وغيرهما من الكتب التي لها عناية بهذا الشأن فنجد أنّ من أشهر من صنف في التفسير من المعتزلة ابوبكر ، عبدالرحمان بن كيسان الاصم المتوفى ٢٢٠هـ أقدم شيوخ المعتزلة إنه ألفت تفسيراً للقرآن الكريم ، ولكننا لا نعلم عن هذا التفسير خبراً حيث أنه فقد بمرور الزمن وتقدم العهد عليه"<sup>(٣٠)</sup>

وهكذا ذكر أحد عشر تفسيراً مع ذكر اسم مؤلفيها ونبذة يسيرة من منهجها، ويقول:

"ولم تكن هذه التفاسير أكثر حظاً من غيرها من كتب التفسير المختلفة حيث امتدت إلى كثير منها يد الزمان ، فضاعت بتقدم العهد عليها

وحرمت المكتبة الاسلامية العامة من معظم هذا التراث العلمي الذي لوبقى إلى يومنا هذا لا لقي لنا ضوءاً واضحاً على مدى التفكير التفسيري لشيوخ هذا المذهب الاعتزالي ولكشف لنا عن حقيقة ما ينسب لبعض شيوخهم من تفسيرات واسعة النطاق ، نسمع بها من علمائنا المتقدمين ، ونقف منها موقف الحائر بين الشك واليقين لما يذكر عنها من الاستفاضة والتضخم إلى حدّ يكاد يكون متخيلاً أو مبالغاً فيه " (٣١)

فظهر من هذه العبارة المذكورة إنه لم يصل إلينا منها إلا هذه المصنفات الثلاثة وهؤلاء أشهر من عرفناهم من مفسري المعتزلة.

١- تنزية القرآن عن المطاعن للقاضي عبدالجبار

٢- وامالي الشريف المرتضى

٣- والكشاف للزمخشري

تفسير تدبر قرآن ومنهج الشيخ امين اصلاحي في تحقيقه اللغوي، وفي العصر الحاضر جدّد هذا المنهج اللغوي الاستاذ حميد الدين فراهي رحمه الله صاحب نظام القرآن الذي كان وحيد عصره في معرفة اللغة ثم اخذ عنه تلميذه الشيخ امين احسن اصلاحي:

قد عنى الشيخ عناية خاصة باللّغة العربية -فهى أساس لفهم القرآن الكريم فى نظره وقد ذكرها الإصلاحي فى مقدمة تفسيره ضمن الوسائل الداخلية لفهم القرآن الكريم، حيث قال:

"اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم هى التى توجد فى كلام شعراء الجاهلية مثل أمريئ القيس وعمرو بن كلثوم وزهير ولييد وفى كلام خطباء الجاهلية مثل قس بن ساعدة ونحوه، وليست بتلك التى كان يستعملها المتنبي أو الحريري ولا هى بلغة تصدرها الصحف والجرائد فى بلاد مصر والشام مثلاً، ولذا لا بد لكل من يريد أن يتذوق بلاغة القرآن فى ايجازه واعجازه أن

يمارس كلام شعراء أو (خطباء) الجاهلية وبدون تذوق كلامهم لا يمكن إدراك محاسن لغة القرآن ولا يستطيع أن يدرك ذلك السحر الذى أعجز كل بليغ وفصيح من مناقشة هذا الكتاب".<sup>(٣٢)</sup>

ولكننا نعترف بمجهودات الأستاذ امين احسن أصلاحي ونشيد بها ونرحب بها لأنه قد سدّ هذا الباب المفتوح لكل من يدخل منه إلى تفسير القرآن على ميل هواه وجعله تحت النظريات التى نستقها دون الإمعان فى روح القرآن ونشلائه ولكن مع ذلك نجد أنه فتح بابا آخر لم ينبه إليه أثناء ذلك وهو أنه إن كان جعل كلام العرب مصدرا موثوقا ومرجعا قطعيا لا كلام فى صحته ولا محل للإمتراء فيه ولكن جعل الأحاديث وآثار الصحابة مصدرا ظنيا وخاصة حيثما جعل فيها الشكوك والشبهات ويطلقها دون الوصول إلى النتائج المتوصله إليها وهذا يسير بنا إلى باب الإلحاد.

الشيخ أمين أحسن أصلاحي وكان قد أفاد بهذا التفسير القرآنى منهج القرآن كثيرا جدا ولكن مع ذلك تولدت فكرة سلبية عنه عند من جاء بعده ولم يفكر الظروف التى الجأتها ان يجعل القرآن أصلا ولم يقصد بذلك اهمال الحديث.

### خلاصة الكلام:

ظلّ المتقدّمون يفسّرون من كلام العرب ويرجعون إليه دون تردد واضطراب وكانوا متمسكين بذلك ومعتفين به، ولكن الذين جاؤا بعد ذلك قلّ اهتمامهم بكلام العرب أسندوا على ذلك حتى وصل الأمر إلى بعض المفسّرين الذين فسّروا القرآن الكريم على نظرياتهم التى وضعوها واخترعوها بأنفسهم، دون الرجوع إلى كلام العرب وعدم الإعتناء بلغة قريش، وانصبّ إهتمامهم على الأبيات النادرة والشاذة وبنوا عليها نظرياتهم التى أحيانا تخالف روح القرآن وعلى المضىّ قدما ساروا على ذلك حتى أنكروا بعض الأخبار السماوية والمعجزات القرآنية التى لا محل فيها للشك ولا مقام للإمتراء قد أطلقوا ألسنتهم فيها وخرجوا على الدّين

وهكذا قد تجرّوا في القرآن الكريم حتى حَرَفُوا فيه دون الإيمان والتعمّق. أعاذنا الله  
منه وهدانا إلى سواء الصراط.

\*\*\*\*\*



## الهوامش والإحالات

- (١) خالد بن عثمان السبت ، قواعد التفسير جمعًا ودراسة، الخبر دار بن عفان، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الاولى، ١٤١٧-١٩٩٧، ص: ٢١٠/١
- (٢) الزركشي، محمد بن عبدالله بدرالدين، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دارالكتب العلميّة، الطبعة الاولى، ١٤٠٧، ص: ١٥/١
- (٣) المصدر السابق، ص: ١٦/١
- (٤) الحري ، حسين بن علي حسين ، قواعد الترجيح عند المفسرين ،الرياض: دار القاسم ، الطبعة الاولى ١٤١٧-١٩٩٦، ص: ٣٦٣/٢
- (٥) الجوهري، ص: ٢١/٦
- (٦) نصر الموريني، العلامة، مقدمة القاموس المحيط، بيروت: دار احياء التراث العربي، ص: ٢٥/١
- (٧) المصدر السابق ، ص: ١٧٠/١
- (٨) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وانواعها، مصر المكتبة الازهرية، ١٣١٠، ص: ٥/١
- (٩) سورة الفرقان : ٧٢
- (١٠) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وانواعها، مصر المكتبة الازهرية، ١٣١٠، ص: ٥/١
- (١١) الذهبي، محمد حسين، الدكتور، التفسير والمفسرون، القاهرة : مكتبة وهبة، بدون، ص: ٢٦٧/١
- (١٢) محمد زغلول سلام، الدكتور، اثر القران في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص: ٤٠
- (١٣) ابن قتيبه، عبدالله بن مسلم، أبي محمد، كتاب تاويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث، بيروت: دارالكتاب العربي، بدون، ص: ١٠١
- (١٤) الجاحظ، عمرو بن بحر، ابى عثمان، البيان والتبيين ، القاهرة: المؤسسة الخانجي، بدون، ص: ١٤/١
- (١٥) محمد زغلول سلام، الدكتور، اثر القران في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص: ٤٠
- (١٦) الجاحظ، عمرو بن بحر، ابى عثمان، كتاب الحيوان، مصر: مكتبة الجاحظ، الطبعة الاولى، ١٩٣٨، ص: ٢٣٠/٢
- (١٧) الذهبي، محمد حسين، الدكتور، التفسير والمفسرون، ص: ٢٤٥ / ٢
- (١٨) سورة الجن: ١٨
- (١٩) سورة العاشية: ١٧
- (٢٠) الجاحظ، عمرو بن بحر، ابى عثمان، كتاب الحيوان، ص: ١٤٣/١

- (٢١) الحري، حسين بن علي بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، الرياض: دارالقاسم، الطبعة الاولى، ١٤١٧ هـ ، ص: ٣٦٦/٢
- (٢٢) سورة القيمة آية ١٧
- (٢٣) محمد زغلول سلام، الدكتور، اثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص: ٢٥
- (٢٤) اهتم كثير من النحويين واللغويين في القرون الثلاثة الاولى بوضع كثير من الكتب تحت أسماء "معاني القرآن " ومن هؤلاء الكسائي، والنضرين شمبل وقطرب والأخفش وغيرهم، وابتما ذكر أصحاب التفسير أصحاب المعاني فأنما يقصدون هؤلاء
- (٢٥) محمد زغلول سلام ، الدكتور، اثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص: ٥٠
- (٢٦) احمد امين، ضحي الاسلام، بيروت: دارالكتاب العربي، الطبعة العاشرة ، ص: ١٤١ / ٢
- (٢٧) سورة الزمر: ٣٦
- (٢٨) سورة هود: ٥٢
- (٢٩) محمد زغلول سلام ، اثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص: ٤٨
- (٣٠) الذهبي، محمد حسين، الدكتور، التفسير والمفسرون، ص: ٢٧٥ / ١
- (٣١) التفسير والمفسرون، ص: ٢٧٥ / ١
- (٣٢) الإصلاحى، امين احسن، مقدمة تدبر القرآن ، تحت عنوان، لغة القرآن، ص: ١٥

\*\*\*\*\*

